

تفسير البحر المحيط

. @ 411 @

وقيل : ذكر لأن معنى الآية البيان ، فهو كما قال : % (برهرة رودة رخصة % .
كخرعية البانة المنفطر .
%)

ذهب إلى القضيب ، وفي قوله { فِي فِتْنَتَيْنِ } محذوف تقديره في : قصة فئتين ، ومعنى :
التقتا ، أي للحرب والقتال . .

{ فِتْنَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ } أي : فئة مؤمنة تقاتل
في سبيل الله ، وفئة أخرى تقاتل في سبيل الشيطان ، فحذف من الأولى ما أثبتت مقابله في
الثانية ، ومن الثانية ما أثبت نظيره في الأولى ، فذكر في الأولى لازم الإيمان ، وهو
القتال في سبيل الله . وذكر في الثانية ملزوم القتال في سبيل الشيطان ، وهو الكفر . .
والجمهور برفع : فئة ، على القطع ، التقدير : إحداهما ، فيكون : فئة ، على هذا خبر
مبتدأ محذوف ، أو التقدير : منهما ، فيكون مبتدأ محذوف الخبر . .
وقيل : الرفع على البدل من الضمير في التقتا . .

وقرأ مجاهد ، والحسن ، والزهري وحميد : فئة ، بالجر على البدل التفصيلي ، وهو بدل كل
من كل ، كما قال : % (وكنت كذي رجلين رجل صحيحة % .
ورجل رمي فيها الزمان فشُلِّتَ .
%)

ومنهم من رفع : كافرة ، ومنهم من خفضها على العطف ، فعلى هذه القراءة تكون : فئة ،
الأولى بدل بعض من كل ، فيحتاج إلى تقدير ضمير أي : فئة منهما تقاتل في سبيل الله ،
وترتفع أخرى على وجهي القطع إما على الإبتداء وإما على الخبر . .

وقرأ ابن السميع ، وابن أبي عتبة : فئة ، بالنصب . قالوا : على المدح ، وتمام هذا
القول : إنه انتصب الأول على المدح ، والثاني على الذم ، كأنه قيل : أمدح فئة تقاتل في
سبيل الله ، وأذم أخرى كافرة . .

وقال الزمخشري : النصب في : فئة ، على الاختصاص وليس بجيد ، لأن المنصوب على الاختصاص لا
يكون نكرة ولا مبهماً ، وأجاز هو ، وغيره قبله كالزجاج : أن ينتصب على الحال من الضمير
في : التقتا ، وذكر : فئة ، على سبيل التوطئة . .

وقرأ الجمهور : تقاتل ، بالتاء على تأنيث الفئة ، وقرأ مجاهد ، ومقاتل : يقاتل بالياء

على التذكير ، قالوا : لأن معنى الفئة القوم فرد إليه ، وجرى على لفظه . .

{ يَرْوَوْهُمْ مَثَلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ } قرأ نافع ، ويعقوب ، وسهل ، ترونها ،
بالتاء على الخطاب وقرأ باقي السبعة بالياء على الغيبة وقرأ ابن عباس ، وطلحة : ترونها
بضم التاء على الخطاب وقرأ السلمي بضم الياء على الغيبة ، فأما من قرأ بالتاء المفتوحة
فهو جار على ما قبله من الخطاب ، فيكون الضمير في : لكم ، للمؤمنين ، والضمير المرفوع
في : ترونها ، للمؤمنين أيضاً . وضمير النصب في : ترونها ، وضمير الجر في : مثليهم ،
عائد على الكافرين ، والتقدير : ترون أيها المؤمنون الكافرين مثلي أنفسهم في العدد ،
فيكون ذلك أبلغ في الآية ، أنهم رأوا الكفار في مثلي عددهم ، ومع ذلك نصرهم الله عليهم ،
وأوقع المسلمون بهم . وهذه حقيقة التأيد بالنصر ، كقوله تعالى { كَمْ مِّن فِئَةٍ
قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ } واستبعد هذا المعنى لأنهم
جعلوا هذه الآية ، وآية الأنفال ، قصة واحدة ، وهناك نص على أنه تعالى قتل المشركين في
أعين المؤمنين ، فلا يجمع هذا التكثير في هذه الآية على هذا التأويل ، ويحتمل على من
قرأ بتاء الخطاب أن يكون الخطاب للمؤمنين ، والضمير المنصوب في : ترونها للكافرين
والمجرور للمؤمنين . والتقدير : ترون أيها المؤمنون الكافرين مثلي المؤمنين ، واستبعد
هذا إذ كان التركيب يقتضي أن يكون : ترونها مثليكم . .

وأجيب بأنه من الالتفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة ، كقوله تعالى : { حَتَّى
إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكَ وَجَرَّيْنَهُمْ فِي سَبِيلِ الْغَلَبَةِ } ويحتمل أن يعود
الضمير في : مثليهم ، على الفئة المقاتلة في سبيل الله ، أي : ترون أيها المؤمنون الفئة
الكافرة مثلي الفئة المقاتلة في سبيل الله وهم أنفسهم . والمعنى : ترونها مثليكم ، وهذا
تقليل ، إذا كانوا نيفاً على ألف ، والمسلمون في تقدير ثلث .